افتتاح قناة السويس أنموذج للإرادة والعمل

٢٢ شوال ١٤٣٦هـ الموافق ٧ أغسطس ٢٠١٥م

أولاً : **العناصر** :-

١ – قيمة العمل وأهميته في الإسلام .

٢ – أهمية دعم المشروعات الاقتصادية .

٣ – أهمية العمل بجد وإتقان.

٤ – ماذا بعد افتتاح قناة السويس .

ثانياً: **الأدلـــة** :-

الأدلة من القرآن :-

١) قال تعالى : {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [التوبة: ١٠٥] .

٢) وقال تعالى : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: ١٠] .

٣) وقال تعالى : {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٧].

٤) وقال تعالى : { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ } [المزمل – ٢٠].

٥) وقال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: ٣٠]

الأدلة من السنة والآثار: -

١) عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : { مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.} صحيح البخاري .

٢) وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ " (رواه أحمد).

٣) وعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ ، أَوْ إِنْسَانٌ ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ " متفق عليه .

٤) وعَنْ أَبِي عُبَيْدٍ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : " لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ ، أَوْ يَمْنَعَه" (صحيح البخاري) .

٥) وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : " لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وأن الله إنما يرزق الناس بعضهم من بعض ، وتلا قوله تعالى : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة:١٠] .

ثالثاً: الموضوع:-

لقد جاء الإسلام بالأسس المتكاملة التي يقوم عليها المجتمع المسلم ، والتي تمتاز بالشمول والواقعية ، وتضمن سير الحياة على وجه من العدل والأمن والحياة الكريمة لكافة أفراده من خلال إتاحة الفرصة للجميع بالمشاركة في التنمية الحضارية ، مما يؤدي إلى تطور المجتمع وتقدمه في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والزراعية والصناعية وغيرها من المجالات ، لمواكبة التطور المذهل في أنحاء العالم المتقدم ، خاصة التنمية الاقتصادية التي تقوم على العلم والمال .

إن التنمية تعني طلب الزيادة وهي إدراك للدور الحقيقي الذي يجب أن ينهض به الإنسان ليؤدي الدور التنموي الملقى على عاتقه في الحياة ، وقد ارتبط مسمى التنمية في العصر الحديث بالتنمية الاقتصادية والتي هي إحدى مؤشرات التقدم لذا كان الاهتمام بالشأن الاقتصادي ضرورة ملحة في التنمية والتقدم من أجل حياة كريمة.

والنشاط الاقتصادي في الإسلام يقوم على مبادئ إنسانية وأسس أخلاقية وضوابط شرعية تغرس في نفس المسلم الحرص على مزاولته وإتقانه في الإطار الذي يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية للمجتمعات ، ومن ثم فقد اعتنت الشريعة الإسلامية بالقضايا الاقتصادية ، وحثت على حفظ المال وتنميته بالعمل والإنتاج والاستثمار واستحداث مشروعات جديدة تساهم في تحقيق الكفاية للمجتمع المسلم ، قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[القصص: ٧٧].

وحتى تتحقق التنمية الشاملة بكل أنواعها أوجب الإسلام على كل مسلم أن يعمل وأن يأكل من كسب يده ، فهو لا يرضى لأتباعه أن يكونوا عالة على الآخرين ، لذا حث على السعي والكسب كما جاء في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : { مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ

أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ } صحيح البخاري .

وإذا كانت مهمة الإنسان في هذه الحياة هي إعمار الأرض فإن ذلك لن يتحقق إلا بالعمل من أجل بلوغ الهدف ، فالحياة بلا عمل موات ، والإنسان أعطاه الله القوى والطاقات مما يجعله قادرا على قيادة سفينة الحياة ، ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالعمل اهتمامًا بالغًا ، لأنه مصدر كرامة الإنسان.

ولقد جاء الأمر بالانتشار في الأرض بعد أداء الصلاة طلبا للرزق ، قال تعالى :{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الجمعة: ١٠] وقد كان عراك بن مالك (رضي الله عنه) إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت في الأرض كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين .(تفسير ابن كثير)

ولقد وردت في القرآن الكريم ثلاثمائة وستون آية تتحدث عن العمل ، وحيث إن السنة القمرية ثلاثمائة وستين يوما فهذا يوحي بأن العمل يكون في كل يوم من أيام السنة متواصلا دون انقطاع.

وكان سفيان الثوري (رحمه الله) يمر ببعض الناس وهم جلوس بالمسجد الحرام فيقول : "ما يجلسكم ؟ فيقولون : ما نصنع . فيقول : اطلبوا من فضل الله ولا تكونوا عالة على المسلمين " ، قال تعالى : {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [التوبة: ١٠٥].

إن تقدم الأمة المسلمة في كل المجالات يحقق لها الحصانة من الأعداء المتربصين بها والطامعين في ثرواتها وخيراتها والله لا يخيب سعي الساعي ولا جهد المجتهد ، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}[الكهف: ٣٠] .

ولأهمية العمل دعانا الإسلام إليه حتى آخر لحظة من حياتنا ولو لم ندرك ثمرته ، وما ذلك إلا لبيان قيمة العمل وأهمية الإنتاج للأفراد والأمم ، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): { إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ }.

وإن مما يدفع للجهد والعمل الصالح للدين والوطن تلك المشروعات الكبرى كمشروع قناة السويس الجديدة ، الذي أبهر العالم وأثبت من جديد أن الإنسان المصري هو صانع التغيير والتطوير بإذن الله تعالى ، وهذا هو حال المسلم الحق ، لأن الإسلام كما أمرنا أن نعمل لآخرتنا ونجعله الرصيد الأكبر أمرنا أن نعمل لدنيانا وإن همة المواطن المصري وما يبذله من جهود جعلته يندفع للأمام في شتى المجالات .

ومما لا شك فيه أن أي تطور في العالم لا بد أن يعتمد على الموارد الوطنية للدول ، ولذا فإن الدولة تسعى جاهدة لتوفير فرص العمل للشباب من خلال المشروعات الكبرى كمشروع قناة السويس الجديدة التي تدعم اقتصاد مصر وتخلق فرص عمل جديدة للشباب ، حيث إن قناة السويس تعتبر أكبر مصادر الدخل للعملة الصعبة في مصر ، وتمثل عائدات قناة السويس (٥٪) من إيرادات الدخل القومي المصري ، وإن إنشاء قناة جديدة موازية لقناة السويس بطول (٧٢ كم) تسمح بمرور السفن في الاتجاهين وزيادة القدرة الاستيعابية للسفن المارة بالقناة ، وكذلك فإن مشروع تنمية القناة يتضمن إقامة محطات لتداول الحاويات والبضائع والصب الجاف ومحطات تموين السفن بالوقود بالإضافة إلى منطقة للخدمات اللوجستية ومنشآت سياحية وساحات انتظار وخدمات تخزين وغيرها من الخدمات . وبهذا كله تحقق القناة الجديدة المنافسة في سوق العمل . وإيجاد فرص للعمل .

من خلال هذا كله تسعى الدولة في خلق فرص عمل للشباب ، وتسهم بالدعم ،وتشجع المواطنين على الاستثمار المالي وطنهم الغالي مصر ، حيث إن ذلك خير وسيلة للنماء .

وسوف تكون قناة السويس الجديدة بمثابة العبور الثاني للشعب المصري حيث تجسد مستوى الإرادة والتحدي لهذا الشعب الأبي صانع المعجزات.

نعم عبور لا يقل عن العبور الأول المتمثل في اقتحام خط بارليف ، إنه عبور البناء والتنمية الذي تم تنفيذه في أقل من عام بإرادة الله تعالى ثم بإرادة البناء والتنمية لدى أبناء مصر المخلصين.

إننا بحاجة إلى ذلك العبور نحو بناء دولة حديثة قوية في بنيانها ، قوية في اقتصادها ، وإذا كان الدفاع عن الأوطان فرض كفاية وقد يتعين القيام به ،فإن معركة البناء والتنمية أيضا من الفروض الواجبة علينا وقد تتعين.

إن مشروع قناة السويس الجديدة هو ثالث أكبر مشروع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، فالمشروع الأول هو قناة السويس التي افتتحت في ١٥ أكتوبر ١٨٦٩ ، والمشروع الثاني هو بناء السد العالي .

فمشروع قناة السويس الجديدة بكل المقاييس عبور نحو مستقبل مشرق ومفعم بالأمل لجموع شعبنا المصري العظيم ، وقد أودع هذا الشعب مبلغاً ضخماً بالبنوك المصرية في مدة لم تتجاوز العشرة أيام ، وهو تصرف يعكس ثقة غير عادية من الشعب المصري في مشروع قناة السويس الجديدة لتكون شريانا جديدا ينبض بالأمل في جسد الاقتصاد المصري من أجل مستقبل أفضل .

وكانت البشائر لهذا المشروع العظيم أن وفر آلاف فرص العمل للشباب في أعمال الحفر ، فضلا عن بعث النشاط في العديد من الشركات المصرية التي تولت العمل في العديد من مراحل المشروع الذي سيتم افتتاحه قريبًا بإذن الله تعالى.

ولقد كانت قناة السويس الجديدة فتحًا من الله عز وجل لشعب مصر ، وإيذانًا منه سبحانه بالنصر المظفر على أعداء الله والوطن ، الذين أرادوا لمصر الهزيمة والتقهقر إلى الوراء ، وقد أخذ الأعداء درساً من قوة وإرادة هذا الشعب العظيم .

وإن الناظر في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه في غزوة الأحزاب حين وجه (صلى الله عليه وسلم) بحفر الخندق للدفاع عن المدينة أخذًا بمشورة سلمان الفارسي (رضي الله عنه) يجد دروسا عديدة يستفاد منها في الإدارة غير التقليدية للمواقف ، منها :

– **تحقيق المفاجأة بتطبيق أسلوب جديد** : حيث أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) بفكرة (حفر) الخندق ليشجع التفكير المثمر ، ويشيد بالعاملين للمصلحة العامة ويقطع دابر العصبيات، حين أخذ بمشورة سلمان الفارسي (رضي الله عنه) مرسخًا مبدأ الشورى في الإسلام ، وأن الحكمة ضالة المؤمن متى وأين وجدها أخذ بها.

– **وحدة القيادة واستمرارية السيطرة**: السيطرة على (حفر) الخندق فلا يستطيع أحد ترك واجبه إلا بأمر منه (صلى الله عليه وسلم) حتى (أُنجز الحفر قبل الموعد المحدد) لوصول المشركين ، وفي هذا ما يؤكد أهمية انضباط سير العمل ووضع قواعد واضحة ومحددة لتنفيذه .

- **الحب المتبادل بين القائد وجنوده** : وظهر ذلك الحب للقائد في السمع والطاعة في كل الأمور ، خاصة الأمور العسكرية التي تحتاج إلى سرعة البت وسرعة المفاجأة ، وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يشارك المسلمين في حفر الخندق ، وإذا حزبهم أمر ، أو اعترضتهم عقبة استعانوا به (صلى الله عليه وسلم).

- **ضرورة أخذ الحذر من المنافقين**: الذين يسعون إلى التثبيط والتخاذل وتوهين العزائم للمسلمين ، وليس أشد على الجيش المناضل من أن يكون دعاة التخذيل وإشاعة الروح الانهزامية من داخله ومن بين صفوفه.

وهكذا كشفت هذه الغزوة وما فيها من (حفر) للخندق كيف صبر المسلمون في مواجهة الأعداء في الخارج وفي الداخل ، وكيف أخفق المنافقون ونجح المؤمنون ، وقد أظهر المؤمنون من الصبر والجلد ما يدل على قوة إيمانهم وعقيدتهم الراسخة ، وأن الله أراد اختبارهم بمواجهتهم لأضخم عمل عسكري في تاريخ الصراع بينهم وبين المشركين .

وإن المتأمل لحفر قناة السويس الجديدة يجد الإرادة والصمود من حيث التصدي للقوى المعادية التي تسعى إلى تخريب مصر والعبث بمقدرات الشعب المصري.

وإن اعتزازنا بالمواطن المصري يتجاوز كل الحدود والإمكانات ، فهو مثال للإنسان الجاد الطموح المبدع ، كما أنه نموذج للمواطن المخلص البناء والمحافظ على أداء واجباته الدينية ، والملتزم بالسلوك المتميز .

إن العلاقة بين المصريين ووطنهم قامت على أسس راسخة وتقاليد عريقة من الحب والولاء النابع عن قناعات حرة ، عميقة الجذور في وجدان أبناء هذا الوطن العظيم عبر الأجيال المتعاقبة . إن المواطن المصري هو الركيزة الأساسية لنهضة مصر وتنميتها ولن ندخر وسعا في تحقيق ذلك لها.

لذا يجب على المصريين في داخل مصر وخارجها أن يدعموا هذا المشروع العملاق الذي سيكون سببا بإذن الله تعالى في تحقيق التنمية الشاملة في كل المجالات ليكون ذلك سببا في تحقيق السعادة للأجيال الحالية والمستقبلية القادمة، قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ ، أَوْ إِنْسَانٌ ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ " (متفق عليه).

وكذلك يجب علينا المحافظة عليه وبذل الوسع في استمراريته بتدعيمه والقيام عليه بكل الطاقات ، وأن يكون إنجاز هذا المشروع أنموذجا لتحقيق مزيد من الإنجازات العملاقة في مجالات أخرى متعددة تكشف عن عزيمة وإرادة وتصميم هذا الشعب المصري العريق الذي يمتلك حضارة عظيمة تؤهله لتحقيق الإنجازات المصيرية الكبرى.

حفظ الله مصر وحفظ شعبها وحفظ جيشها العظيم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .